من غزة الي شكسبير،
ساعدني يا صديقي كيف لك ان تكون حاضرا بعد اكثر من ٥٠٠ عام. تقفز أمام عيوني مع كل صورة مع كل صرخة، اسمعك تصرخ مع الاطفال وتشارك الامهات بكائهم. ترتدي الاسود كوالد هاملت تخرج من تحت الانقاض حاملا لعبة طفل. تظهر من فوق أجراس الكنائس تقرعها محذرا من تدميرها. شاخصا فوق مأذنة لم يتبق من المسجد سواها. تحاول أن تسعف من سقطوا في باحة مستشفى. تتواجد في كل مكان وكأنك انقسمت مجموعة اشباح لتجبر العالم ان يوقف ما يحدث في غزة من مجازر وتطهير عرقي.
هذه ليست حرب بل شيء اخر حينما تنبأت الساحرات بتحرك غابة ايل الي قصر الملك ماكبث. كأنك تتنبأ بتحرك مدينة غزة بعد كل هذا الدمار والموت الي البحر. لم يتبقى منزلا او مبني الا ودمر فوق ساكنيه. وكأنك تنبأت بتحرك غزة الي البحر. ولكن حينما تحركت الغابة كان النصر حليف الجنود. هل ستكون المباني المدمرة المحملة بالإسمنت والحديد والاف الجثث التي لازالت تحت الانقاض من الاطفال والنساء والشيوخ والاباء، كل تلك الارواح الطاهرة التي حتما سوف تجرف بعد انتهاء الحرب الى البحر كعادة كل المباني بعد كل حرب.
ولكن الاختلاف هذه المرة ان المباني امتزجت من لحم ودم، وسوف تعمّد بالبحر. وكأن ثمن حريتنا التي ناضلنا من اجلها اكثر من سبعين عاما، كان هذا التعميد نحو الحرية.
لا اعلم لماذا تعود الي الذاكرة مقولة رئيس وزراء الاحتلال رابين. كم اتمني ان اصحو لأجد غزة قد ابتلعها البحر. هل تم التخطيط لكل ما يحدث؟ وهل يا شكسبير كنت تعلم ان ثمن الحرية تحرك المدن والغابات؟ وان المياه الساكنة هي مياه آسنة؟ نعم اذا كان هذا ثمن حريتنا وكرامتنا، سوف ندفعه بكل تقدير واحترام ورغبة بالذهاب نحو الشمس.
هل كان ضمن الحركة الطيران أيضا؟ طيران جسد صديقي ماجد في الهواء ١٠٠ متر لينتهي جسده في شرفه شقة ممزقا اثر صاروخ قتله و١٢٠ شخص من عائلته. لم تكن الحرب حلم ليلة صيف، بل كان كابوسا مفزعا، مبكي. كان اللاعبون الاساسيون للعرض بعض المهرجون من طائرات ودبابات وبوارج تقذف حممها على الاطفال. كيف لك يا وليم شكسبير ان تكتبنا في روميو وجولييت، وتحذرنا من بشاعة النزاع والحرب بين ابناء العمومة وان الجميع سوف يدفع الثمن. اختلفت الرؤية يا صديقي لقد صارت اصعب كثيرا صوت الصواريخ تجعل القلب يقفز رعبا. رائحة البارود والدخان المسرطن، تخترق رئتاك عنوة. قنابل الفسفور المحرم دوليا، تحرق الاخضر واليابس. رؤية احبائك وهم اشلاء. قلبك الذي يتمزق كل يوم الف مرة وكأنه قطعة مطاط. انهض يا شكسبير ساعدني يا صديقي لقد تعبت فعلا. قاوم بقلمك الحكيم المليء بالحب والفرح والثورة والإنسانية والأمل والحرية علنا نصبح كلنا اخوة تحت تلك السماء الزرقاء.

علي ابو ياسين
٢٠٢٣/١١/٥